أشهر العلماء فى التاريخ

8

علم أعلام الطب

ابن سينا

عاطف محمد



أشهر العلماء فى التاريخ

ابن سينا

علم أعلام الطب

عاطف محمد

دار اللطائف للنشر والتوزيع
72 شارع مجلس الشعب - القاهرة هاتف وفاكس 3917212 هاتف محمول 0101055155



72 شارع مجلس الشعب ـــ القاهرة
هاتف وفاكس 3917212 (00202)
هاتف محمول 0101055155 (002)

بريد إليكتروني:
lataaif@hotmail.com

المدير العام
أحمد محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الكتاب	علم أعلام الطب ابن سينا
اسم المؤلف	عاطف محمد
الطبعة الأولى	2003

رقم الإيداع 2003/1758

I.S.B.N 977-5644-78-x

ابن سينا

موجز حياته

ولد أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسين بن على بن سينا عام 980 ميلادية ، وكان مولده فى قرية جميلةٍ من قرى « بخارى » ، وقد نشأ « ابن سينا » نشأة هانئة ؛ لأن والده كان واليًا على « سامان » ، وقد عهد به والدُهُ إلى كبار رجال العلم فى « سامان » فأحسنوا تربيته وتعليمَه ،وقد حرص والدُه على تعليمه الدين قبل أى شىء آخر ؛ لذلك كان « ابن سينا » منذ الصغر على درايةٍ كاملةٍ بأمورِ الدينِ والفقهِ والشرع والسُّنةِ .

كان « ابن سينا » منذ الصغر شغوفًا بالعلم والمعرفة وقد أظهر نبوغًا مبكِّرًا تفوَّق به على أقرانِه ، حتى أنه قد حفظ القرآن كلَّه وهودون العاشرةِ ؛ وكان حفظه للقرآن فى هذه السن المبكِّرة دليلاً على ما يتمتع به من الزكاءِ وقوةِ الذاكرةِ والقدرةِ الفائقةِ على الحفظ والفهم والاستيعاب .

وعندما أتم « ابن سينا » حفظَ القرآن كلِّه ، عهد به والدُه إلى معلم آخر من أفاضل علماء هذا العصرِ هو « عيسى بن يحيى » الذى تولى تعليم « ابن سينا » الطِّب ، ثم تلقى « ابن سينا » بعد ذلك - علوم الفلسفة والمنطق على يد الفيلسوف

« أبو عبد اللَّه الناتلى » وبعد ذلك بدأ « ابن سينا » يتعمق فى درسِ الآداب والعلوم الشرعية والهندسة والفلك وعلم النفس والاجتماع والرياضيات والموسقى .

وكان أول ما درسه « ابن سينا » من العلوم الفلسفية أعمالَ الفيلسوف اليونانى « أرسطو » ، وأعمالَ عظماءِ الفلسفة العربية أمثال : « الفرابى » و « ابن رشد » ، وقد برع « ابن سينا » فى كافة العلوم التى تلقاها على أيدى أساتذتِه ، وقد شهدوا له جميعًا بالتفوق والنبوغ والامتياز ، وتنبأ له الجميعُ بمكانةٍ سامقةٍ بين العلماء والفلاسفةِ منذ صغره ، وقد صدق ظن أساتذةِ « ابن سينا » فى تلميذهم النابهِ ، فقد حقق تقدمًا عظيمًا فى دروسه واتسعت معارفُه ونضجت أفكارُه حتى لقِّب بالعالمِ الصغيرِ قبل أن يصل إلى مرحلة الشباب !

كان « ابن سينا » شغوفًا بالعلم والحكمة إلى أقصى درجاتِ الشغف والولع ، ولذلك فقد أكب « ابن سينا » على كتبِ القدماء ينهل منها المعرفة ، وراح يُبحر بين سواحلِ العلومِ وشتى أنواعِ المعارفِ وفى نفسهِ ذلك الظمأُ الذى لا يرتوى أبدًا ، فَعَقْلُ « ابن سينا » منذ صغره كان عقلاً تواقًا للإحاطة بكل أنواع المعرفةِ ، وكأنَّ العالمَ الصغيرَ كان يأبى على نفسه أن يحمل لقبَ العالمِ الصغيرِ ولا يرضى لنفسه إلا بلقب « الشيخ الرئيس » !

لذلك لم يكتف « ابن سينا » بالتعمق فى ناحية واحدة من المعرفةِ ، وراح يغوصُ فى أعماق شتى أنواعِ المعارفِ والعلوم ، وكانت الفلسفة وقتها هى جامعة العلوم ، فلم يكن من الممكنِ دراسةُ الفلسفة دون دراسة الفلك والكيمياء والرياضيات والطبِّ والمنطق وعلم الاجتماع والموسيقى ، أى أن العالِمَ كان عليه أن يدرس كلَّ هذه العلومِ والمعارفِ ويتعمق فيها حتى يصبحَ من علماءِ أهلِ الزمانِ .

وعلى الرغم من أن دراسة الحكمةِ بكلٍّ علومها وفروعها من المسائل والأمور التى لا تطيقها سوى العقول الجبارة النابغة ، فإن « ابن سينا » قد تمكَّن من الإبحارِ بين شواطئ الحكمةِ ، بل والغوص فى أعماقِ معارفها وعلومها بشتى أنواعها .

لكنه كان مع ذلك مولعًا بالطب ولعًا أشد من ولعه بسائر العلوم الأخرى التى تعلَّمها وأتقنها ، وكان ولعُهُ هذا سببًا فى نبوغِه فى الطب ؛ حتى أصبح « علم أعلام الطب » فى عصره وهو لم يزل بعد فى سنِّ الشباب .

ومع ذلك لم يكتف « ابن سينا » بما وصل إليه من مكانةٍ بين العلماء ، فواصل بحثه وتعمقهُ فى علوم الطب والحكمة حتى تفجرت عبقريتُهُ ، وساد أهلَ زمانهِ من العلماء فى فروعِ المعرفةِ وشتى أنواعِ العلومِ ، وما زال « ابن سينا » يتقدم فى شتَّى ميادين المعرفةِ ؛ حتى لُقِّبَ بلقب « الشيخ الرئيس » .

النبوغ المبكر

ولكى ندرك مدى النبوغ المبكر الذى أبداه « ابن سينا » ومدى النجاح الذى حققه بتفوقِه وعبقريته فى فترةٍ قصيرةٍ ، علينا أن نعرف أنه قد حقق قدرًا عظيمًا من الشهرة بين الأطباء فى عصره ، حتى أن سلطان «بخارى» نفسَهُ قد استدعاه إلى قصره ليتولى علاجه من مرضٍ عُضالٍ عجز جميعُ الأطباء فى السلطنة عن علاجه ، وكان « ابن سينا » وقتها فى السابعة عشرة من عمره !!

ولولا شهرة « ابن سينا » ونجاحُهُ ونبوغُهُ وتفوقهُ لما استدعاه السلطانُ رغم حداثة سنه ، لكن العجيب أن « ابن سينا » قد نجح فى علاج السلطان ، وحقق ما عجز عن تحقيقه جميعُ أطباء السلطنة ! وفرح السلطان بهذا العالم الشاب وسمح له بالدخول إلى خزائن كتبه التى تحوى الكثير من مؤلفات القدماء وكتبِ العلم والحكمةِ ، وكان إذنُ السلطان « لابن سينا » بدخول مكتبته الخاصةِ هو الكنزَ الثمين الذى أهداه السلطَانُ للطبيب النابغة .

ومع ذلك لم يكتف « ابن سينا » بهذا الإنجاز العظيم الذى حققه ، وكان يمكنه أن يبقى فى كَنَفِ السلطانِ ، وأن يحظى بلقب كبير أطباء السلطنة ، لكنَّ طموحَ « ابن سينا » لم يقف عند هذا الحدِّ .

لقد قرر « ابن سينا » أن يترك « بخارى » ، وأن يسافر فى طلبِ العلم مهما كانت مشقَّةُ التِّرحالِ والغربةِ ، ومهما بعدت عليه البلدانُ والأقطارُ ، وبالفعل رحل « ابن سينا » إلى « خراسان » ثم تركها وسافر إلى « خوارزم » وبعدها إلى « جرجان » القديمة (إيران الآن) .

وكان « ابن سينا » كلما سمع عن عَلَم من أعلام العلم ، أو رمز من رموز الحكمةِ والمعرفةِ ، شد الرحالَ إليه ليتلقى العِلْمَ على يديه ، وهكذا كان دأب العلماءِ قديمًا ؛ ولهذا السبب تعددت أسفارُ ورحلاتُ « ابن سينا » ، وطالت به الغربةُ فى طلب العِلْم ، لكنه لم يتعبْ ولم يكل ولم يمل لحظةً واحدةً ، على الرغم مما وصل إليه من مكانةٍ باهرةٍ بين أعلامِ عصرهِ وزمانهِ .

ومن علامات النبوغ المبكر التى أبداها « ابن سينا » أيضًا ، أنه عندما أتم حفظَ القرآنِ ، سأله أستاذهُ أمامَ والده : هل حفظت القرآن كلَّه ؟ فقال نعم . وطلب منه الأستاذ أن يتلو عليه عدة آيات لاختباره ، فنجح « ابن سينا » فى الاختبار ، وأبدى الأستاذ رضاه عن تلميذه ، وابتسم والدهُ مسرورًا ، إلا أن « ابن سينا » قال لأستاذه ولوالده : لقد حفظت أيضًا ألفَ بيتٍ من الشِّعر ، وعشرين رسالةً من رسائل الحكماءِ والعلماء !

ودهش الأستاذ دهشةً بالغةً وحملق فى « ابن سينا » مليّا ، ثم التفت إلى والده وقال : سيكون لابنك هذا مستقبلٌ عظيمٌ ، إننى أتنبأ له بأنه سيكون من أعلم العلماء وأحكم الحكماء .

ابن سينا الفيلسوف

برع « ابن سينا » فى الطب حتى لُقِّب بلقب « شيخ الأطباء » ، لكن براعته فى الفلسفة أيضًا لم تكن تقلُّ بحالٍ عن براعتهِ فى الطبِ ، لذلك يمكننا القولُ بأن « ابن سينا » كان أيضًا فيلسوفًا عظيمًا من أبرز فلاسفة العرب ، ولم يكن « ابن سينا » مجرد دارسٍ للفلسفة أو شارح من شرَّاحها الذين نقلوا الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية ، وقاموا بالتعليق عليها وشرحِها ، إنما كان « ابن سينا » بحقٍ من الفلاسفة أصحابِ النظريات والأفكار الفلسفية الأصلية .

لقد قرأ « ابن سينا » كتاباتِ الفلاسفة القدماءِ ، وخاصة فلاسفة اليونان ، وتعمق فيها ، ولم يكتف بقراءة هذه الفلسفة والتعليق عليها وشرحها ، إنما قام أيضًا بنقدها وتفنيدها والردِّ عليها فى ضوءِ الفلسفةِ الإسلامية ، وقد وضع « ابن سينا » نظرياتِه وأفكارَه الفلسفية الخاصةَ من خلالِ نقده لأفكارِ وفلسفاتِ فلاسفةِ اليونانِ العظماءِ أمثال « أرسطو » و« أفلاطون » .

وكانت أفكارُ « ابن سينا » الفلسفيةُ من العظمةِ والقوةِ إلى الدرجة التى جعلت أوروبا فى عصر النهضة ، تنبهرُ بابن سينا ، وتتأثرُ بفلسفته وأفكارِهِ ، ولهذا نشرت الجامعات الأوروبية أعمالَ ومؤلفاتِ « ابن سينا » ، وقامت بترجمتها إلى مختلفِ

اللغاتِ الأوروبية ، كما قامت بتدريسها لطلبة الفلسفة .

وقد وصف الذين اهتموا بأعمال « ابن سينا » فى الغرب فلسفتَه بأنها فلسفةٌ متكاملةٌ ، متناسقةُ البناءِ ، قويةُ المنطق ، مؤثرةُ العبارةِ ، واضحةُ المعنى ، وقالوا عن « ابن سينا » إنه : من الفلاسفة الذين يمتازون بالقوةِ والتمكُّنِ والوضوحِ والإسهابِ المفصلِ فى شتى القضايا الفلسفية التى تناولها ، ويكفى « ابن سينا » لبلوغ المجد أن كتابَهُ الفلسفىَّ الرئيسىَّ المعنونَ باسم « الشفاء » كان من أدقِّ وأعمقِ وأضخمِ كتبِ الفلسفةِ فى التاريخِ عمومًا ، ويقع هذا الكتابُ الثمينُ فى ثمانية عشر مجلَّدًا ، بالغَ الدقةِ والعمقِ والوضوحِ !

وقد ظلت آراءُ « ابن سينا » الفلسفية تحظى بالاهتمام البالغ لما لها من أثر فى التاريخ الفلسفى عمومًا ، وإذا نحن أردنا أن نقف على أبعادِ العقلية الفلسفية التى تميز بها « ابن سينا » لكان علينا أن نتعرف على نظرتهِ الخاصةِ للفلسفة وأهم قضاياها .

★ الفلسفة عند ابن سينا :

يرى « ابن سينا » أن الهدف الأساسَىَّ ، الأولَ والأخير للفلسفة هو : العلم بالوجود ، وهو يقصد الوجودَ المطلقَ ، الذى ينتظم جميعَ الكائناتِ والموجودات ، ويتفرع عن الهدفِ الرئيسى من الفلسفة غايةٌ فرعيةٌ هى : تهذيبُ النفسِ بهدف الوصول بها إلى بلوغِ النضج والسعادةِ والكمالِ : أى أن

الهدف الأول للفلسفة هو إدراك الوجود المطلقِ ، والهدف الثانى هو الأخلاق ، ويعتقد « ابن سينا » أن تحقيق الهدف الثانى يتوقف على تحقيق الهدف الأول ؛ لأن تهذيبَ النفسِ وترقيةَ الأخلاقِ من الأمورِ التى يستحيل تحقيقُها إلا بعد تحقيقِ المعرفةِ الوجوديةِ الكاملةِ .

والفلسفةُ عند « ابن سينا » ترتكز على عدّةِ دعائمَ ، لا تقوم الفلسفة إلا بها ، وهى : المعرفة ، والمنطق ، والأخلاق .

★ المعــرفة :

فالمعرفة عند « ابن سينا » تنقسم إلى ثلاثة أنواع ، هى : معرفةٌ بالفطرة ، ومعرفةٌ بالفكرة ، ومعرفةٌ بالحدْسِ . وأرقى أنواع المعرفة هى المعرفة الحدْسية ، والذين يعتمدون على هذا النوعِ من المعرفة هم أرقى أنواعِ البشرِ ، ومنهم الفلاسفة والأنبياءُ .

يفهم من ذلك ، أن المعرفةَ فى نظر « ابن سينا » تبدأ حسيَّةً ، ثم ترتقى ، أى أنها تبدأ بالعلم الذى يتم تحصيلُهُ من خلال الحواس المادية المعروفةِ كالسمع والبصر ، إلخ ، كذلك فإن أولى مراحل الإدراك هى : الإدراك الحسىُّ ، ثم الإدراكُ العقلىُّ ، وهو الأرقى .

★ المنطق :

وإذا كان الإدراكُ العقلُّ أرقى من الإدراك الحسىّ ، وكانت المعرفةُ الحدْسيةُ (العقلية) أرقى من المعرفة الحسيةِ ، فليس من شكٍ فى أن أحد أهم أسباب هذا الرُّقى هو اعتمادُ الإدراكِ العقلىّ والمعرفةِ الحدْسية على المنطق السليم .

لذلك يرى « ابن سينا » أن المنطقَ ، هو : الآلة القانونية التى تعصم الذهنَ من الخطأ فيما يتصوره العقلُ ويصدقُه ، وهذه الآلةُ هى التى يتوصَّل بها العقلُ إلى الاعتقادِ الحقِ السليم ، اعتمادًا على أسبابِ وسبلِ ومناهجِ المنطقِ .

★ الأخلاق :

أما الأخلاقُ فهى فى نظر « ابن سينا » غايةُ الغايات الكبرى من الفلسفة ، وهو يرى أن الأخلاق لا تعدو كونها انقيادَ البدن للنفسِ الناطقةِ ، أى تغلُّب النفسِ وسيطرتها على البدن ، ويعتقدُ « ابن سينا » أن السعادةَ لا تتحقق إلا عندما ينجح الإنسان فى إصلاح الجزء العملى من النفس ، وأن نجاحَ الإنسانِ فى هذه المهمّة الحيويةِ لا يتحقق إلا عن طريق اجتنابِ الرذائل ، وتكتمل دعائمُ الفلسفة عند « ابن سينا » بمعرفةِ النفس .

ويُعتبرُ « ابن سينا » من أعظم الفلاسفة العرب الذين تناولوا النفسَ الإنسانية عمومًا ، والوجودَ النفسىَّ خصوصًا ، وقد تحدث « ابن سينا » عن النفس فى أكثر من مؤلَّفٍ من مؤلفاته ،

ولم يكتف « ابن سينا » بالحديثِ النظرىِّ الفلسفىِّ عن النفسِ وتكوينها ، إنما كان « ابن سينا » أيضًا من أوائل الأطباءِ الذين مارسوا الطب واهتموا بالعلاج النفسىِّ إلى جانب علاجِ الجسدِ .

ابن سينا عالم النفس

قلنا : إن ابن سينا كان من أعظم الفلاسفة الذين تناولوا النفس فى مؤلَّفاتِهم ، والواقع أن معرفة « ابن سينا » بالنَّفس ، وتكوينها ، وأحوالها ؛ قد جعلت منه طبيبًا بارعًا للنفس ، لا تقل براعته فى علاجها عن براعته فى علاج أمراضِ البدنِ . وهناك قصة شهيرة يرويها كل الذين تناولوا حياة « ابن سينا » : كان أغلبُ العلماءِ والحكماءِ والأطباءِ لا يلتفتون إلى الأسباب النفسيةِ الكامنةِ خلفَ الأمراضِ التى تهاجمُ الجسمَ البشرىَّ ، أما « ابن سينا » فقد كان على خلافِ سائرِ الحكماء والأطباءِ فى هذا الصددِ .

ويُروى عن « ابن سينا » أنه عندما سافر إلى « جرجان » استضافه الأميرُ « قابوس » الحاكمُ على المدينةِ ، ، وقد تصادف وقتها أن كان أحدُ أقرباءِ الأمير مريضًا ، وأشرف المريضُ على الموت بعد امتناعه عن الطعام والكلام ، فدُعى « ابن سينا » لعلاجِه ، وعندما فحصَ « ابن سينا » المريضَ لم يجد لعلته سببًا بدنيا ، عندئذٍ خطرت لابن سينا فكرةٌ ، فأمسك بيد المريضِ وطلب من أهله أن يذكروا له أسماء شوارع مدينة « جرجان »

فقال بعض أهل المريض بعض أسماء الشوارع ، وكان « ابن سينا » يلاحظ دقات قلب المريض ، وإذا بدقات القلب تزداد عندما سمعَ المريض اسمَ أحدِ الشوارع ، وهو شارعُ « الرشيدِ » ، فطلب « ابن سينا » أن يذكروا له الأزقة والحوارى المتفرعة من شارع « الرشيدِ » ، ومرة أخرى ازدادت دقاتُ قلب المريضِ عندما سمع اسمَ زقاقِ « الميمون » ، فقال « ابن سينا » اذكروا لى أسماء البيوت وأسماء أصحابها فى هذا الزقاقِ ، فذكروا له أسماء البيوت وأصحابها إلى أن وصلوا إلى بيت « الشيخ على » ، فقال « ابن سينا » : ومن هُمْ أولادُ الشيخِ على ؟ فقيل له : بنتان وولد ، فسأل عن أسماء بناته ، فقيل له : الكبرى اسمها (أميرة) والصغرى (سهاد) ، وعندئذ لاحظ « ابن سينا » زيادة نبضِ المريض عندما سمع اسمَ (سهاد) فقال : هناك علاقة بين مرض هذا الشاب وهذه الفتاة !

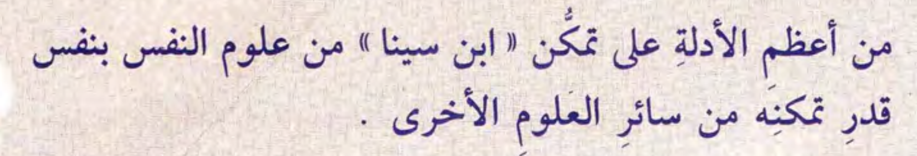
وبعد ذلك اختلى « ابن سينا » بوالدِ المريض وسأله عن قصة الشاب مع الفتاة ، فدُهش والدُ المريض وأطرق قليلًا ، فبادره « ابن سينا » قائلًا : إذا لم تذكر لى القصة فلن أستطيع علاج ابنك ؟! فقال الوالدُ مستسلمًا : كان ابنى يريد الزواجَ منها ، لكنى عارضته فى رغبته ، ورفضت زواجَه منها . عندئذٍ قال « ابن سينا » بكل ثقة : لن يُشفى المريض إلا إذا حققت له رغبته وزوّجته ممنْ يحبها ، وعندئذٍ وافق الأبُ على زواج ابنه من الفتاةِ التى يحبها .

وما إن حصل « ابن سينا » على موافقةِ الأب حتى دخل مرةً أخرى على المريض ، وما إن ألقى « ابن سينا » على المريضِ نبأَ موافقة والده على زواجه من (سهاد) حتى انفرجت أساريرُه وابتسم فى رضا ، وبعد قليل طلبَ القيامَ من فراشهِ ، ثم طلب الطعامَ وبدأ يتحدث إلى أهلِه .

وهكذا تمكن « ابن سينا » من علاج مريضهِ الذى كان قد أوشكَ على الموتِ ، وقد تمكن « ابن سينا » من علاج هذا المريضِ بعدما عرف أن سبب علَّته هو حالته النفسيةُ التى أدت به إلى اليأسِ من الحياةِ ، فلم يكن لعلةِ المريضِ سبب بدنى ، إنما كانت الأسباب النفسيةُ سرَّ مرضهِ .

ولو كان هذا المريضُ قد عُرِض على طبيب آخر سوى « ابن سينا » لما أدرك أسبابَ مرضه ، ولما تمكَّن من علاجه ، ولكان الشابُ قد لقى حتفه نتيجة عجزِ الأطباءِ عن علاجه وعجزهم عن اكتشاف سرِّ مرضه !

وبهذه القصة التى ترددت كثيرًا فى أغلبِ المؤلفات التى تناولت حياة « ابن سينا » ، يمكننا أن ندرك إلى أى مدى كان « ابن سينا » طبيبًا بارعًا ، وإلى أى مدى كان مؤمنًا بأن علل النفسِ قد تؤدى إلى عللِ البدنِ ، وأن علاج النفس لابد أن يؤدى إلى شفاءِ البدنِ فى أغلبِ الأحيانِ ،وهذه القصةُ بذاتها



من أعظمِ الأدلةِ على تمكُّن « ابن سينا » من علوم النفس بنفس قدرِ تمكنِه من سائرِ العَلومِ الأخرى .

القانون فى الطب

قلنا : إن « ابن سينا » قد ترك « بخارى » وسافر إلى عدة بلدان طلبًا للعلم ، وقد ذهب « ابن سينا » إلى خراسان وخوارزم وجرجان ، فكان فى كل أسفارِه مجدًّا فى البحث فى طلبِ العلم ، وكان فى الوقت نفسه من أعظم وأشهر الأطباءِ ، إذ كانت شهرتُه تسبقه إلى البلدانِ التى قام بزيارتِها ؛ فكان ملوك وحكام وسلاطينُ هذه البلاد يستضيفونه ويكرمونه وينزلُونه المنزلة التى يستحقها ، ويقدرونه التقدير المناسبَ لعبقريته وعلمِهِ وحكمتهِ .

ولكن « ابن سينا » بعد كل هذه الرحلاتِ والأسفارِ ، قرر أن يتفرغَ لتأليفِ عدة رسائلَ ومؤلفاتٍ ؛ فعاد إلى « همدان » ، ونزل فى بلاطِ « شمس الدولة » أميرِ همدان ، وظل عنده ست سنوات تمكن خلالها من إتمام أعظم وأهم مؤلفاته على الإطلاق ، ونعنى كتابيه العظيمين : « القانون » و« الشفاء » .

أما كتاب « القانون » فهو باعتراف سائر علماءِ الشرق والغرب من أعظمِ كتبِ الطب فى التاريخ العلمىِّ ، وقد وضعه « ابن سينا » على طريقة أطباءِ اليونانِ ، واتبع فيه نفس

النهج الذى ينتهجونه فى علاجهم للأمراض ، لكنه زاد عليه خبرته ، وتجاربه ، ومعارفه التى جمعها خلالَ رحلاتهِ وأسفارهِ ، كما أضاف إليه وجهة نظرهِ الخاصةِ فى العلاقةِ بين النفس والبدن ، وأشار إلى ضرورة علاج النفس وعللِها قبل علاجِ البدنِ وأمراضهِ ، فكان بذلك من أعظمِ الروادِ الذين تقدَّموا بعلم الطبِ .

ولقد ظلَّ كتابُ « القانون » هو المرجع الأساسىُ لجميع أطباءِ العالمِ حتى القرن السابع عشر الميلادى ، وقد تُرجم « القانون » إلى اللغة اللاتينية فى القرن الثانى عشر ، وطُبِعَ فى روما عام 1593م ، وظلت جامعات أوروبا تدرسه لعدة قرون نظرًا لما يحتويه هذا الكتابُ العظيمُ من المعارفِ الطبية ، والصيدليةِ ، والمرضيةِ البدنيةِ والنفسيةِ . ولعل الاهتمامَ الذى حظى به هذا الكتابُ العظيمُ من الدلائل المهمة على عظمة وعبقرية « ابن سينا » العلميةِ .

يقول « ابن سينا » فى مقدمة كتاب « القانون » : « أردت أن أصنِّف فى الطب كتابًا مشتملاً على قوانينه الكلية والجزئيةِ ؛ اشتمالاً يجمع إلى الشرح والاختصار ، وإلى الإيفاء الأكثر حقه من البيان والإيجاز » .

وعلى الرغم من ذلك عمد « ابن سينا » إلى تقسيم كتابه إلى خمسةِ أقسامٍ ، هى : الأمورُ الكليةُ فى علم الطب ، والأدوية ،

والأمراض الجزئية التى تصيب أعضاء البدنِ ، والأمراض الجزئية غير المختصة بعضوٍ معينٍ من الأعضاء ، وتركيب الأدوية .

وقد قام « ابن سينا » بترتيب الأدوية وتصنيفها أبجديا على حروفِ المُعْجَم العربىّ ، كما صنَّف الأمراض وذكر أسماء الكثير منها ، وأَردف ذلك بذكر كيفية علاجاتها ومنها أمراضُ : القلب ، والصدر ، والأحشاء ، والعين ، والأذنِ ، والجمجمة ، والكسورِ ، والغددِ .

ولم يقتصر « ابن سينا » فى ذكره للأمراض على الأمراض السالفة الذكر ، إنما قد أضاف إليها أيضًا الأمراضَ الموسمية والأمراضَ المعدية ، والأمراضَ الناجمة عن تلوث الماء والهواء ، وتحدَّث تفصيلاً عن هذه الأمراضِ ، إضافة إلى الأمراضِ الوراثية ، والأمراضِ ذات الأسبابِ النفسية المنشأ .

وقد أسهب « ابن سينا » فى الحديثِ عن تركيب الأدوية ، وذكر منافعَها ، ومضارَّها ، وحدد كيفيةَ التوصل إلى تركيبها بأبسط وأدقِ الوسائلِ ، كما حدد لكل مرضٍ من الأمراض التى ذكرها عددًا من العلاجات والأدوية الناجعة ، وقد سبق أن قلنا : إن « ابن سينا » قد اتبع فى ترتيب وتقسيم كتابه منهج قدماء أطباء اليونان وأكثرهم شهرةً وعظمةً مثل : جالينوس ، وأبقراط ، ودسقوريدس ؛ لكنه لم يقفْ عند حدودِ ما ذكره هؤلاء الأطباء العظامُ من الأمراض والأدوية ، بل أضاف الكثير من معارفهِ ، وخبراتهِ ؛ لهذا جاء كتاب

« القانون » موسوعةٌ طبيةٌ شاملةٌ تدل على عبقرية فى التأليف والتصنيف العلمىِّ .

الشيخ الرئيس

عاش « ابن سينا » حياةً حافلةً بالعطاءِ وطلبِ العلمِ والتعليم ، لقد مارس « ابن سينا » الطِّبَّ ، وقام بتدريس الفلسفةِ ، كما قام بتأليف الكتبِ ووضع المصنفاتِ فى شتى ميادين المعرفة ، ولم ينقطع « ابن سينا » عن البحث والدرسِ وممارسةِ الطب والتدريس والتأليف طوال حياتهِ ؛ فكان يقضى الليل ساهرًا يقرأ ، أو يكتب على ضوء السراج ، حتى إذا شعر بالتَّعبِ والإرهاقِ قام فتوضأ ثم صلَّى ، ثم يعود مرةً أخرى لمواصلة القراءة أو التأليف حتى الصباح .

أما فى النهارِ فقد كان « ابن سينا » يمارسُ الطبَّ ، أو يقوم بتدريس الفلسفة لتلاميذه ،ومع ذلك كان « ابن سينا » رغم كلِ هذه الجهودِ الشاقة ، ورغم أسفاره ورحلاته الكثيرةِ ؛ شخصيةً لها الكثيرُ من الاهتمامات غير العلمية ، ومن اهتماماته الأخرى اشتغالهُ بالسياسة ! ولقد شَغل « ابن سينا » عدةَ مناصبَ سياسيةٍ مهمةٍ فى عدد من البلدان ، منها نائبَ المستشار السياسى أو منصبُ الوزير ، أو منصبُ حكيم الدولة !

وهكذا تعددت ألقابُ « ابن سينا » فهو : الشيخ الرئيس ، وهو : علم أعلام الطب ، وهو : حُجة الحقِّ ، وهو : الحكيم

الوزير ، وهو : الدُّستور ، وهو : الطبيب الفيلسوف ، وهو فيلسوف الأطباء ، وهو : طبيب وعالم الفلاسفة ، وهو : مستشار الملوكِ والحكّامِ .

وكل هذه الألقاب التى حملها « ابن سينا » إنما تدل على مقدرتِه الفائقة وعبقريته الفذّة الفريدة ، وتمكُّنِه من كافة الأمور التى تصدى للقيام بها ، كما تدل ألقاب « ابنِ سينا » على أنه كان صاحبَ شخصيةٍ قويةٍ تمتاز بقوة الإرادة والطُّموحِ ، والعزمِ والمثابرة ، وحبِّ العلم والحكمةِ إلى جانب العبقريةِ الفذّة ، فلم يكن طموح « ابن سينا » يقف عند الحدودِ التى يقنع بها من هم أقل منه علمًا وحكمةً وعبقريةً .

ولأن « ابن سينا » هو « الشيخ الرئيس » فقد نذر « ابن سينا » حياتَه للتأليف والتدريسِ وممارسةِ الطب ، فجاءت مؤلفاته العظيمة الخالدة من أعظم الأدلة على كونه العالِمَ الحُجة فى الطب ، والفلسفةِ ، والفلكِ ، والدين والموسيقى . وتعتبر نظرية « ابن سينا » فى « النَّفس » من الروائع الفلسفية التى تقدم البرهانَ القاطعَ على استحقاقِه عن جدارةِ للقب « الشيخ الرئيس » .

★ **أحوال النفس :**

يرى الفيلسوف العالم « ابن سينا » أن النَّفس – عمومًا – تنقسم إلى :

1 – نفس نباتية .
2 – نفس حيوانية .
3 – نفس إنسانية .

ولم يكن « ابن سينا » « الشيخ الرئيس » مجرَّدَ طبيبٍ ، أو حكيمٍ ، أو عالمٍ من علماءِ الرياضيات والموسيقى والفلك فحسبُ ، إنما تدلُّنا المؤلَّفات الكثيرةُ العظيمةُ التى تركها « ابن سينا » على تعمُّقهِ أيضًا فى الدين والعلوم الشرعية والفقهية ، وكتابه « فضائح الباطنية » هو الدليل القاطع الذى يثبت مدى اطلاعه على دينه الإسلاميِّ بمختلف أركانه ، وبما كان يموج فى العالم الإسلامى من أفكارٍ وتيارات ومذاهبَ ، أمَّا كتابه « عيون الحكمة » فهو من المؤلفات الرائعة التى تثبت أيضًا أن الشيخ الرئيس « ابن سينا » كان يملك عبقريةً نقديةً فذّةً وقدرةً هائلةً فى تناول الأفكارِ وشرحها ونقدها وتفنيدِها .

وأمَّا كتابه « الشفاء » فهو بدوره البرهان الساطع والدَّليلُ القاطعُ على كون « ابن سينا » عبقريةً فلسفيةً هائلةً لا تدانيها عبقريةٌ فى وضع نقد المنطق والفلسفة ، بل أن « ابن سينا » فى هذا الكتاب قد أثبت أن عبقريتَهُ الفذةَ ليست عبقريةً مقلِّدةً ، إنما هى عبقريةٌ أصيلةٌ نابعةٌ من الإبداع الذاتى لصاحبها ، ويتجلى هذا الأمرُ بكلِ وضوحٍ فى التَّصور الخاص الذى قدمه « ابن سينا » للمنطق ، فهو لمْ يتبع قدماءَ الفلاسفة عمومًا ، وفلاسفة اليونان خصوصًا ، وعلى رأسِهم أرسطو . ومن

المعروف أن أرسطو هو مُؤسِّس علم المنطق ، ومع ذلك لم يأخذ « ابن سينا » منطقَ أرسطو على علَّته ، إنما هو قد وقف منه موقف النقد ، وقد أبدع « ابن سينا » من خلال نقده لمنطق أرسطو ، فكان إبداعُهُ الذاتى هو الترجمةَ الحيَّةَ لما يتصوره عن المنطقِ الصحيحِ .

أما مؤلفات « ابن سينا » التى تحدَّث فيها عن الفلك ، والرياضيات والموسيقى ؛ فهى كلُّها من الأعمالِ الخالدةِ العظيمةِ التى تؤكد على تمكُّن « ابن سينا » من هذه العلومَ وباعه الطويل فيها ، بل أن « ابن سينا » قد تجاوز فى تأليفه فى هذه الأعمال نهجَ ومنطق القدماء ؛ فربط بين الفلك والرياضة والموسيقى ربطًا يجمع هذه العلوم فى وحدةٍ معرفيةٍ متناسقةٍ بالغةِ الدقةِ والانسجام والتكامل . وفى النهاية كان « ابن سينا » أيضًا يمتاز فى تأليفه بالدقةِ والوضوحِ وعدم التعقيدِ والعبارةِ الأدبية السلسة الممتعةِ والمؤثِّرة .

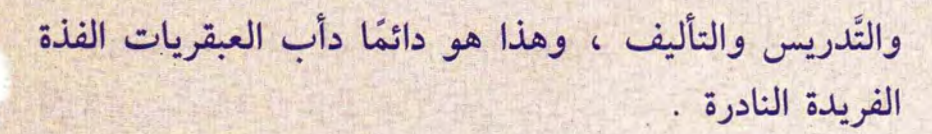
* * *

قبل الختـــام

كان « ابن سينا » قد طبقت شهرته الآفاق حتى قبل أن يُكْمِلَ الثلاثين من عمره .

ويقول تلميذه « الجرجانى » أنَّ « ابن سينا » كان يملى عليه كل يوم خمسين ورقةً دون أن ينظر فى كتابٍ !! ومعنى ذلك أن « ابن سينا » قد قرأ مئات الكتب ، وربما الآلاف ، وحفظ منها وفهم المئات أيضًا ، حتى أنه لم يكن يحتاج إلى مراجعة هذه الكتبِ من حينٍ إلى آخر ، وذلك نظرًا لقوة ذاكرته ، فقد كان « ابن سينا » من أعظم وأقوى العقول المبدعةِ فى تاريخ الحضارة الإنسانية عمومًا ، وتاريخ الحضارة العربية خصوصًا ، وقد ترك « ابن سينا » عددًا هائلاً من المؤلفاتِ والمصنفات والرسائل ، ولم يترك علمًا من العلوم إلا وصنَّف فيه أو وضع الكتب والرسائل ، حتى علوم الحروف وأسرار الأوفاق والكيمياء القديمة وهى العلوم التى عرفها القدماء باسم علوم الحكمة ، فقد طرق « ابن سينا » أبوابَها وتعمَّقها وألَّف فيها الكتبَ والرسائلَ .

على كل حال فإن الإنتاج الغزير الذى تركَهُ « ابن سينا » لا يبعث على الدَّهشة لكثرته ووفرته ، بقدرِ ما يبعثُ على الدَّهشة لعمقهِ ودقتِه ، ولكن دهشتنا تزول عندما نتذكر إلى أى مدى كان « ابن سينا » مولعًا بالعلمِ والمعرفةِ والبحث



والتَّدريس والتأليف ، وهذا هو دائمًا دأب العبقريات الفذة الفريدة النادرة .

ولأن « ابن سينا » هو صاحبُ هذه العبقرية النادرة المثالِ ؛ فقد كان حريًا بالعالم كلِّه - شرقًا وغربًا - أن يحتفى به ، وأن يكرِّمه ، وأن يخلِّدَ اسمه وذكراه على مر العصور ، ولذلك لا يدهشنا ذلك الاهتمامُ العظيمُ الذى يحظى به « ابن سينا » من علماءِ الغرب ، فقد ظل « ابن سينا » هو المرجعَ الأساسىَّ للكثير من العلوم فى الغرب لعدة قرون ، وإذا كان « ابن سينا » قد رحل عن عالمنا سنة 1037 ميلادية إلا أن اسمَه سيظلُّ فى قائمة العظماءِ والعباقرة مع الذين خلَّدهم التاريخُ والذين ساهموا فى تقدُّم العلمِ ، وأضاءت أعمالهُم وعبقريتهُم حياةَ البشر على مرِّ العصور .

أهم أعمال ابن سينا

ترك الشيخ الرئيس « ابن سينا » الكثيرَ من الأعمالِ والمؤلفات العلميةِ والفلسفيةِ والدينيةِ ، فلقد كان « ابن سينا » عالمًا فذًّا فى مختلف ميادين المعرفةِ . وكما كان شيخًا للأطباءِ ، فقد كان أيضًا من أعلام الفلسفةِ والمنطقِ وعلم النفسِ والدين والفقهِ والفلكِ ، ولقد حصر الذين درسوا حياة « ابن سينا » أعماله ، واتفق أغلبهم على أن أعمالَ هذا العالـم الفيلسوفِ الفذّ قد بلغت حوالى ٢٧٦ كتابًا فى شتى ميادينِ العلمِ والمعرفة .

ويدلُّ هذا الكمُّ الهائلُ من الكتبِ والرسائلِ والمؤلفاتِ على أن « ابن سينا » لم يتركْ مجالاً من مجالاتِ المعرفةِ فى عصره إلا وكتبَ فيه ، فكُتبُ « ابن سينا » من أهم المؤلفات فى الطِّبِّ والفلسفة والفلك والموسيقى والمنطق ، وعلمِ النفس وغيرها من المعارفِ والفنون .

وإذا كانتْ أعمالُ « ابن سينا » قد تنوَّعت كلَّ هذا التنوعِ الهائلِ ، فإن تنوعها يدل على خصوبةِ هذا العالمِ الفذِّ ، وعلى مكانته بين علماءِ عصره شرقًا وغربًا . وقد ظلتَ أعمال « ابن سينا » فى الطب خصوصًا تمثل المرجعَ الأساسيَّ لعلماءِ الغرب فى العصور الوسطى وما بعدها ، حتى أن كتاب « القانون فى الطب » ظل يدرس فى جامعات أوروبا لعدة قرون .

* * *

صدر من هذه السلسلة

1- عبقري القرن العشرين ألفريد نوبل
2- أعظم علماء الكيمياء جابر بن حيان
3- صاحب النظرية النسبية أينشتين
4- عبقرى علم الرياضيات الخوارزمى
5- أعظم المخترعين إديسون
6- رائد علم الفلك البيرونى
7- مكتشف قانون الجاذبية نيوتن
8- علم أعلام الطب ابن سينا
9- مكتشف الميكروب باستير
10- مؤسس علم الصيدلة ابن البيطار